

ألف ليلة وليلة

حكاية مسرور التاجر مع معشوقته زين الموصف

حكاية مسرور التاجر مع معشوقته زين الموصف

ومما يحكى أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر اسمه مسرور وكان ذلك الرجل من أحسن أهل زمانه كثير المال مرفه الحال ولكنه كان يحب النزهة في الرياض والبساتين ويتلهى بهوى النساء الملاح فاتفق إنه كان نائماً في ليلة من الليالي فرأى في نومه أنه في روضة من أحسن الرياض وفيها أربع طيور من جملتهما حمامة بيضاء مثل الفضة المجلية فأعجبته تلك الحمامة وصار في قلبه منها وجد عظيم وبعد ذلك رأى أنه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه، ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة فصار يعالج أشواقه إلى الصباح فقال في نفسه لا بد أن أروح اليوم إلى من يفسر لي هذه المنام. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثامنة والثمانين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج أشواقه إلى الصباح وقال لا بد أن أروح اليوم إلى من يفسر لي هذا المنام، فقام يمشي إلى أن بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام، ثم بعد ذلك طلب الرجوع إلى منزله فبينما هو في الطريق إذا خطر بباله أن يمر على دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الأغنياء فلما وصل إليها وإذا به يسمع بها صوت أنين من كبد حزين وهو ينشد هذه الأبيات:

معطرة يشفي العليل شميمها	نسيم الصبا هبت لنا من رسومها
وليس يجيب الدمع إلا رميمها	وقفت بأطلال دوارس سائلاً
هل الدار هذي قد يعود نعيمها	فقلت نسيم الريح بالله خبري
وأجفانه الوسنا ضناني سقيمها	وأحظى بظبي مال بي لين قده

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر في داخل البيت فرأى روضة من أحسن الرياض في باطنها ستر من ديباج أحمر مكلل بالدر والجوهر وعليه من وراء الستر أربع جوار بينهن صبية دون الخماسية وفوق الرباعية كأنها البدر المنير والقمر المستدير بعينين كحيلتين وحاجبين مقرنين وفم كأنه خاتم سليمان وشفتين وأسنان كالدر والمرجان وهي تسلب العقول بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فلما رآها مسرور دخل الدار وبالغ في الدخول حتى وصل إلى الستر فرفعت رأسها إليه ونظرته فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام. فلما نظرها وتأملها طاش عقله وذهب قلبه ونظر إلى الروضة وكانت من الياسمين المنتور والبنفسج والورد والنارنج وجميع ما يكون فيها من المشموم وقد توشحت جميع الأشجار بالأثمار وفي تلك الروضة طيور من قمري وحمام وبلبل ويمام وكل طير يغرد بصوته والصبية تتمايل في حسنها وجمالها وقدها واعتدالها يفتتن بها كل من رآها ثم قالت أيها الرجل ما الذي أقدمك على دار غير دارك وعلى جوار غير جوارك من غير إجازة أصحابها فقال لها: يا سيدتي رأيت هذه الروضة فأعجبني حسن اخضرارها وفيج أزهارها وترنم أطيافها فدخلتها لأتفرج فيها ساعة من الزمان وأروح إلى حال سبيلي فقالت له حياً وكرامة. فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر إلى ظرفها ورشاقة قدها تحير من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطير فطار عقله من ذلك وصار متحيراً في أمره وأنشد هذه الأبيات:

قمرى تبدي في بديع محاسن	بين الربا والرواح والريحان
والأس والنسرين ثم بنفسج	فاحت روائحه من الأغصان
يا روضة كملت بحسن صفاتها	وحوت جميع الزهر والأفنان
فالبدري جلبي تحت ظل غصونها	والطير تنشد أطيب الألحان
قمريةا وهزارها ويمامها	وكذا البلابل هيجت أشجاني
وقف الغرام بمهجتي متحيراً	في حسنها كتخبر السكران

فلما سمعت زين الموصف شعر مسرور نظرت إليه نظرة أعقبتها ألف حسرة وسلبت بها عقله ولبه وأجابته عن شعره بهذه الأبيات:

لا ترتجى وصل التي علقتها	وأقطع مطامعك التي أماتها
وذو الذي ترجوه أنك لم تطق	صد التي في الغانيات عشقتها
تجنى على العشاق الحاضي ولم	تعظم على مقالة قد قلنتها

فلما سمع مسرور كلامها تجلد وكتم أمرها في سره وتتكبر وقال في نفسه ما للبليلة إلا الصبر ثم داموا على ذلك إلى أن هجم الليل فأمرت بحضور المائدة فحضرت بين أيديهما وفيها من سائر الألوان من السماني وأفراخ الحمام ولحوم الضأن فأكلا حتى اكتفيا ثم أمرت برفع الموائد فرفعت وحضرت آلات الغسل فغسلا أيديهما ثم أمرت بوضع الشمعدانات فوضعت وجعل فيها شمع الكافور ثم بعد ذلك قالت زين الموصاف والله أن صدري ضيق في هذه الليلة لأنني محمومة فقال لها مسرور شرح الله صدرك وكشف غمك فقالت يا مسرور أنا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيئاً؟ قال أنا عارف به. فقدمته بين أيديهما وإذا هو من الأبنوس مقطع بالعاج له رقعة مرقوفة بالذهب الوهاج وحجارته من در وياقوت.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة التاسعة والثمانين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أنها لما أمرت بإحضار الشطرنج أحضروه بين أيديهما فلما رآه مسرور حار فكره فالتفتت إليه زين الموصاف وقالت له: هل تريد الحمر أم البيض؟ فقال: يا سيدة الملاح وزين الصباح خذي أنت الحمر لأنهم ملاح ولمثلك أملك ودعي لي الحجرة البيض. فقالت: رضيت بذلك. فأخذت الحمر وصفتها مقابل البيض ومدت يديها إلى القطع تنقل في الميدان فنظر إلى أناملها، فرأها كأنها من عجيب، فاندش مسرور من حسن أناملها ولطف شماتها فالتفتت إليه وقالت: يا مسرور لا تندش وأصبر وأثبت فقال لها يا ذات الحسن الذي فضح الأقمار إذا نظرتك المحب كيف يكون له اصطبار.

فبينما هو كذلك وإذا هي تقول له: الشاه مات فغلبته عند ذلك وعلمت زين الموصاف أنه بحبها مجنون فقالت له يا مسرور لا ألعب معك إلا برهن معلوم وقدر مفهوم. فقال لها: سمعاً وطاعة. فقالت له أحلف لي وأحلف لك أن كلا منا لا يغدر صاحبه. فحلفا معاً على ذلك فقالت له: يا مسرور إن غلبتك أخذت منك عشرة دنانير، وأن غلبتني فأعمل معي ما تريد فظن أنه يغلبها. فقال لها: يا سيدتي لا تخشي في يمينك فإني أراك أقوى مني في اللعب. فقالت له: رضيت بذلك وصار يلعبان ويتسابقان بالبيادق، وألحقهم بالإفراز وصفقتهم وقرتهم بالرخاخ وسمحت النفس بتقديم الأفراس، وكان على رأس زين الموصاف وشاح من الديباج الأزرق فرفعت عن رأسها وشمرت عن معصم كأنه عمود من نور ومرت بكفها على القطع الحمر وقالت له خذ حذرك فاندش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر إلى رشاقته ومعانيها فاحترأ وأخذ الأنبيهار فمد يده إلى البيض فراحت إلى الحمر، فقالت: يا مسرور أين عقلك الحمر لي والبيض لك، فقال لها: إن من ينظر إليك يشرد عقله.

فلما نظرت زين الموصاف إلى حاله أخذت منه البيض وأعطته الحمر فلعب بها فغلبته ولم يزل يلعب معها وهي تغلبه ويدفع لها في كل مرة عشرة دنانير، فلما عرفت زين الموصاف أنه مشغول بهوها قالت له: يا مسرور ما بقيت تنال مرادك إلا إذا كنت تغلبني كما هو شرطك ولا بقيت ألعب معك في كل مرة إلا بمائة دينار. فقال لها حباً وكرامة، فصارت تلاعبه وتغلبه وتكرر ذلك وهو في كل مرة يدفع لها المائة دينار، وداما إلى الصباح وهو لم يغلبها أبداً فنهض قائماً على أقدامه فقالت له ما الذي تريد يا مسرور قال لها: أمضي إلى منزلي وأتي بمالي لعلني أنل منك أمالي، فقالت له: أفعل ما تريد مما بدا لك فمضى إلى منزله وأتاها بالمال جميعه.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة التسعين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور لما مضى إلى منزله وأتى لها بالمال جميعه صار يلعب معها وهي تغلبه ولم يقدر أن يغلبها دوراً واحداً ولم يزا كذلك ثلاثة أيام حتى أخذت منه جميع ماله فلما نفذ ماله قالت له: يا مسرور ما الذي تريد؟ قال ألعبك على دكان العطاره قالت له كم يساوي تلك الدكان؟ قال خمسمائة دينار فلنلعب بها خمسة أشواط فغلبته، ثم لعب معها بها على الجواري والعقارات والبياتين والعمارات فأخذت منه ذلك كله وجميع ما يملكه، وبعد ذلك التفتت إليه وقالت له: هل بقي معك شيء من المال تلعب به.

فقال لها: وحق من أوقعني معك في شرك المحبة ما بقيت يدي تملك شيء من المال وغيره لا قليلاً ولا كثيراً. فقالت له: كل شيء يكون أوله رصاً لا يكون آخره ندامة، فإن كنت ندمت فخذ مالك واهب عنا إلى حال سبيلك وأنا أجعلك في حل من قبلي قال مسرور وحق من قضى علينا بهذه الأمور لو أردت أخذ روعي لكنت قليلة في رضاك، فما عشق قلبي أحداً سواك فقالت: يا مسرور حينئذ اذهب وأحضر القاضي والشهود واكتب لي جميع الأملاك والعقارات.

فقال: حباً وكرامةً ثم نهض قائماً في الوقت والساعة وأتى بالقاضي والشهود وأحضرهم عندها، فلما رآها القاضي طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من حسن أناملها وقال: يا سيدتي لا أكتب الحجة إلا بشروط أن تشتتر العقارات والجواري والأملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفي حيازتك. فقالت: قد اتفقنا على ذلك، فاكتب لي حجة بأن ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينقل إلى ملك زين الموصف بثمن جملته كذا وكذا فكتب القاضي ووضع الشهود خطوطهم على ذلك، وأخذت الحجة زين الموصف.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الواحدة والتسعين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن زين الموصف لما أخذت الحجة من القاضي مشتملة على أن جميع ما كان ملكاً لمسرور صار ملكاً لها قالت له: يا مسرور اذهب إلى حال سبيك فالتفتت جاريها هبوب وقالت له أشد شيئاً من الأشعار، فأشدت في شأن لعب الشطرنج هذه الأبيات:

أشكر الزمان وما قد حل بي وجرى	واشتكي الخسر والشطرنج والنظرا
في حب جارية غيداء ناعمة	ما مثلها في الورى أنثى ولا ذكرا
قد فرقت لي سهاماً من لواظها	وقدمت لي جيوشاً تغلب البشرى
حمرأً وبيضاً وفرساناً مصادمة	فبادرتني وقالت لي خذ الحذرا
وأهملتني إذا مرت أناملها	في جنح ليلٍ بهيم يشبه الشعرا
لم أستطع لخلص البيض أنقلها	والوجد صير مني الدمع منهمرى
بيادق ورخوخ مع فرازنة	كرت فأدبر جيش البيض منكسرا
خيرتني بين العسكرين	فاخترت تلك الجيوش البيض مقتمرا
وقلت لهم هذه الجيوش البيض تصلح	لي هم المراد وأما أنت فالحمرى
ولا عبتني على رهن رضيت به	ولم أكن عن رضاها أبلغ الوطرا
يا لهف قلبي ويا شوقي ويا حزني	على وصال فتاة تشبه القمرى
ما القلب في حرق كلاً ولا أسف	على عقاري ولكن يألف النظرا
وصرت حيران مبهوتاً على وجل	أعاتب الدهر فيما تم لي وجرى
قالت فما لك مبهوتاً فقلت لها	هل شارب الخمر يصحو عندما سكرى
أنسية سلبت عقلي بقامتها	أن لان منها فؤاد يشبه الحجرى
أطبعنت نفسي وقلت اليوم أملكها	على الرهان ولا خوفاً ولا حذرا
لا زال يطمع قلبي في تواصلها	حتى بقيت على الحالين مفتقرا
هل يرجع الصب عن عشق أضر به	ولو غدا في بحار الوجد منحدرى
فأصبح العبد لا مال بقلبه	أسير شوقي ووجد ما قضى وطرا

فلما سمعت زين الموصف هذه الأبيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له: يا مسرور دع عنك هذا الجنون وارجع إلى عقلك وأمض إلى حال سبيك فقد أفنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك إليه، فالتفتت مسرور إلى زين الموصف وقال لها يا سيدتي اطلبي أي شيء ولك كل ما تطلبينه فاني أجيء به إليك وأحضره بين يديك. فقالت: يا مسرور ما بقي معك شيء من المال فقال لها: يا منتهى الآمال إذا لم يكن عندي شيء من المال تساعدني الرجال فقالت له: هل الذي يعطي يصير مستطيعاً؟ فقال لها: إن لي أقارب وأصحاباً ومهما طلبته يعطوني إياه.

فقالت له أريد منك أربع نوافج من المسك الأذفر وأربع أواق من الغالية وأربعة أرطال من العنبر وأربعة آلاف دينار وأربع مائة حلة من الدباج الملوكي المزركش فإن كنت يا مسرور تأتي بذلك الأمر أبحث لك الوصال. فقال: هذا علي هين يا مخجلة الأقمار، ثم أن مسرور أخرج من عندها ليائياً بالذي طلبته منه، فأرسلت خلفه هبوب الجارية حتى تنظر قدره عند الناس الذي ذكرهم لها، فبينما هو يمشي في شوارع المدينة إذ لاحته منه التفاتة فرأى هبوب على بعد فوقف إلى أن لحفته.

فقال لها: يا هبوب إلى أين أنت ذاهبة؟ فقالت له أن سيدتي أرسلتني خلفك من أجل كذا وكذا. وأخبرته بما قالتها

لها زين الموصف من أوله إلى آخره. فقال لها: والله يا هبوب أن يدي لا تملك شيئاً من المال. قالت له: فلأي شيء وعدتها؟ فقال: كم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل بالحب لا بد منه. فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له يا مسرور طب نفساً وقر عيناً والله لأكونن سبباً في اتصالك بها ثم أنها تركته ومشت وما زالت ماشية إلى أن وصلت إلى سيدتها فبكت بكاءً شديداً وقالت لها: يا سيدتي والله أنه رجل كبير المقدار ومحترم عند الناس.

فكانت لها سيدتها: لا حيلة في قضاء الله تعالى أن هذا الرجل ما وجد عندنا قلباً رحيماً لأننا أخذنا ماله ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة في الوصال وأن وصلنه إلى مراده أخاف أن يشيع الأمر فقالت لها هبوب: يا سيدتي ما سهل علينا حاله وأخذ ماله ولكن ما عندك إلا أنا وجاريتك سكوب فمن يقدر أن يتكلم منا فيك ونحن جواريك فعند ذلك أطرقت برأسها إلى الأرض فقال لها الجواري يا سيدتي الرأي عندنا أن ترسلي خلفه وتنعمي عليه ولا تدعيه يسأل أحداً من اللئام فما أمر السؤال فقبلت كلام الجواري ودعت بدواةٍ وقرطاساً وكتبت هذه الأبيات:

دنا الوصل يا مسرور فأبشر بلا مطل	إذا أسود جنح الليل فاتأت بالفعل
ولا تسأل الأندال في المال يا فتى	فقد كنت في سكر وقد رد لي عقلي
فما لك مردودٌ عليك جميعه	وزدتك يا مسرور من فوقه وصلي
لأنك ذو صبرٍ وفبك حلاوةً	على جورٍ محبوبٍ جفاك بلا عدل
فبادر لتحظى بالمنى ولك الهنا	ولا تعط أهماً لفيدي بنا أهلي
هلم إلينا مسرعاً غير مبطئ	وكل من ثمار الوصل في غيبة البعل

ثم أنها طوت الكتاب وأعطته لجاريتها هبوب ومضت إلى مسرور فوجدته يبكي وينشد قول الشاعر:

وهب على قلبي نسيم من الجوى	ففتت الأكباد من فرط لوعتي
لقد زاد وجدني بعد أحبتي	وفاضت جفوني في تزايد عبرتي
وعندي من الأوهام ما أن أبح به	لصنم الحصى والصخر لانت بسرعة
ألا ليت شعري هل أرى ما يسرني	وأحظى بما أرجوه من نيل بغيتي
وتطوى ليالي الصد من بعد نشرها	وأبرأ مما دخل القلب حلت صبوتي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثانية والتسعين بعد السبعائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن مسروراً لما زاد به الهيام صار ينشد الأشعار وهو في غاية الشوق فبينما هو يترنم بتلك الأبيات ويردها إذ سمعته هبوب فطرق عليه الباب فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب فأخذه وقرأه وقال لها يا هبوب ما وراءك من أخبار سيدتك؟ فقالت له يا سيدتي أن في هذا الكتاب ما يغني عن رد الجواب وأنت من ذي الألباب ففرح مسرور فرحاً شديداً وأنشد هذين البيتين:

ورد الكتاب فسرنا مضمونة	وردت أني في الفؤاد أصونه
وزاددت شوقاً عندما قبلته	فكأنما در الهوى مكنونه

ثم أنه كتب كتاباً لها وأعطاه لهبوب فأخذته وأنت به إلى زين الموصف فلما وصلت إليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر أوصافه وكرمه وصارت مساعدة له على جمع شمله فقالت لها زين الموصف: يا هبوب أنه أبطاً عن الوصول إلينا فقالت لها هبوب: إنه سيأتي سريعاً فلم تستتم كلامها وإذا به قد أقبل وطرق الباب ففتحت له وأخذته وأجلسته عند سيدتها زين الموصف فسلمت عليه ورجعت به وأجلسته إلى جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب: هات له بدلة من أحسن ما يكون فقامت هبوب وأتت ببدلة مذهبية فأخذتها وأفرغتها عليه وأفرغت على سيدتها بدلة أيضاً من أفر الملبس ووضعت على رأسها سبيكة من اللؤلؤ الرطب وربطت على السبيكة عصابة من الديباج مكللة بالدر والجوهر واليواقيت وأرخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت في كل سلفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج وأرخت شعرها كأنه الليل الداج وتبخرت بالعود وتعطرت بالمسك والعنبر فقالت لها جاريتها هبوب: الله يحفظك من العين فصارت تمشي وتتبختر في خطواتها وتتعطف فأنشدت الجارية من بديع شعرها هذه الأبيات:

خجلت غصون البان من خطواتها	وسطت على العشاق من لحظاتها
قمر تبدي في غياهب شعرها	كالشمس تشرق في دجى وقراتها
طوبى لمن باتت تنتيه بحسنها	ويموت فيها حالفاً بحياتها

فشكرتها زين الموصف، ثم أنها أقبلت على مسرور وهي كالبدن المشهور فلما رآها مسرور نهض قائماً على قدميه وقال: إن صدق قلبي فما هي إنسية وإنما هي من عرائس الجنة، ثم أنها دعت بالمائدة فحضرت ثم أنهم أكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت لهم الأنفاس وملا الكأس مسرور وقال: يا من أنا عبدها وهي سيدتي فقالت: يا مسرور كل من تمسك بدينه وأكل خبزنا وملحنا وجب حقه علينا فخل عنك هذه الأمور وأنا أرد عليك أملاكك وجميع ما أخذنا منك، فقال: يا سيدتي أنت في حل مما تذكرينه وأن كنت غدرت في اليمين الذي بيني وبينك فأنا أروح وأصير مسلماً، فقالت جارتها هبوب: يا سيدتي أنت صغيرة السن وتعرفين كثيراً وأنا استشفع عندك بالله العظيم، فإن لم تطيعيني وتجبري خاطري لا أنام عندك في الدار، فقالت لها: يا هبوب لا يكون إلا ما تريدينه، قومي جددي لنا مجلساً فنهضت الجارية هبوب وجددت مجلساً وزينته وعطرته بأحسن العطر كما تحب وتختار وجهزت الطعام وأحضرت المدام ودار بينهم الكأس والطاس طابت لهم الأنفاس، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الرابعة والتسعين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن زين الموصف لما أمرت جارتها هبوب بتجديد مجلس الأنس قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت لهم الأنفاس فقالت زين الموصف: يا مسرور قد أن أوان اللقاء والتداني فإن كنت لحبنا تعاني فأنشئ لنا شعر بديع المعاني، فأشد مسرور هذه القصيدة:

أسرت وفي قلبي لهيبٌ تضرماً	بجبل وصالٍ في الفراق تضرماً
وحب فتاةٍ كان قلبي حبها	وقد سلبت عقلي بخدٍ تنعماً
لها الحاجب المقرون والطرف أحور	وتغر يحاكي البرق حين تبسماً
لها من سنين العمر عشر وأربع	ودمعي حكى في حب هاتيك عندما
فعانيتها ما بين نهر وروضةٍ	بوجه يفوق البدر في أفق السما
وقفت لها شبه الأسير مهابةٍ	وقلت سلام الله يا ساكن الحمى
فردت سلامي عند ذلك رغبة	بلطف حديث مثل در تنظماً
وحين رأت قولي لديها تحققت	مرامي وصار القلب منها مصمماً
وقالت أما هذا الكلام جهالة	فقلت لها كفي عن الصب ألوما
فإن تقبليني اليوم فالخطب هين	فمثلك معشوقاً ومثلي متيماً
فلما رأت مني المرام تبسمت	وقالت ورب خالق الأرض والسما
يهودية أقسى النهود ديتها	وما أنت إلا للنصارى ملازماً
فكيف ترى وصلي ولست بملتي	فإن تبع هذا الفعل تصبح نادماً
وتلعب بالدينين هل حل في الهوى	ويصبح مثلي بالملام مكلماً
وتهوى به الأديان في كل جهةٍ	وتبقى على ديني ودينك محرماً
وتحلف بالإنجيل قولاً محققاً	لتحفظ سري في هواك وتكتماً
وأحلف بالتوراة إيمان صادق	بأني على العهد الذي قد تقدماً
حلفت على ديني وشرعي ومذهبي	وحلفتها مثلي يميناً معظماً
وقلت لها ما الاسم يا غاية المنى	فقالت أنا زين الموصف في الحما
فناديت يا زين الموصف أنني	بحبك مشغوف الفؤاد متيماً
وعابنت من تحت اللثام جمالها	فصرت كئيب القلب والحال مغزماً
فما زلت تحت الستر أخضع شاكياً	كثير غرام في الفؤاد تحكماً
فلما رأت حالي وفرط تولهي	أملت لي وجهاً ضاحكاً متبسماً
وهبت لنا ريح الوصال وعرت	نوافج عطر المسك جيداً ومعصماً
وقد عبقت منها الأماكن كلها	وقبلت من فيها رحيقاً ومبسماً
ومالت كغصن البان تحت غلائل	وحللت وصلا كان قبل محرماً
وبتتا بجمع الشمل والشمل جامع	بضم ولثم وارتشاف من اللمي
وما زينة الدنيا سوى من تحبه	يكون قريباً منك كي تتحكماً

فلما تجلى الصبح قامت وودعت
وقد أنشدت عند الوداع ودمعها
فلم أنس عهد الله ما عشت في الورى
بوجه جميل فاتق قمر السما
على الخد منثوراً وبعضها منظماً
وحسن الليالي واليمين المعظماً

وأدرك شهرزاد الصباح فسكنت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الخامسة والتسعين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن مسروراً لما أنشد القصيدة المذكورة وسمعتها زين الموصف أطربت وقالت له: يا مسرور ما أحسن معانيك ولا عاش من يعاديك، ثم دخلت المقصورة ودعت بمسور فدخل عندها واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ما ظن أنه محال وفرح بما نال من طيب الوصال، فعند ذلك قالت زين الموصف له: يا مسرور أن مالك حرام علينا حلال لك لأننا قد صرنا أحبباً، ثم أنها ردت إليه كل ما أخذته من الأموال وقالت له: يا مسرور هل لك من روضة تأتي إليها وتفرج عليها؟ قال: نعم لي روضة ليس لها نظير.

ثم مضى إلى منزله وأمر جواريه أن يصنعن طعاماً فاخراً وأن يهيئن مجلساً حسناً وصحبة عظيمة، ثم أنه دعاها إلى منزله فحضرت هي وجواربها فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطرَبوا ودار بينهم الكأس والطاس وطابت لهم الأنفاس وخلا كل حبيب بحبيبه فقالت: يا مسرور خطر ببالي شعر رقيق أريد أن أقوله على العود فقال لها: قوليه، فأخذت العود بيدها وأصلحت شأنه وحركت أوتاره وحسنت النغمات وأنشدت تقول هذه الأبيات:

قد مال بي طربٌ من الأوتار
والحب يكشف عن فؤادٍ متيم
مع خمرة رقت بحسن صفاتها
في ليلةٍ جاءت لنا بسرورها
وصفا الصبوح لنا لدى الأسحار
فبدا الهوى بهتك الأستار
كالشمس تجلى في يد الأقمار
تمحو بصفو شائب الأقدار

فلما فرغت من شعرها قالت: يا مسرور أنشدنا شيئاً من أشعارك ومتعنا بفواكه أثمارك فأنشد هذين البيتين:
طربنا على بدرٍ يدبر مداماً
وغنت قماربها ومالت غصونها
ونغمة عود في رياض مقامنا
سخيلاً وفي أنحاء غاية المنى

فلما فرغ من شعره قالت له زين الموصف: أنشد لنا شعر فيما رقع لنا أن كنت مشغولاً بحبنا، فقال حباً وكرامة وأنشد هذه القصيدة:

قف واستمع ما جرى لي
ريم رمانى بنبل
فتنت عشقاً وأني
هويت ذات دلال
أبصرتها وسط روض
سلمت قالت سلاماً
سألت ما الاسم قالت
سميت زين الموصف
فإن عندي غراماً
قالت فإن كنت تهوى
أريد مالاً جزياً
أريد منك ثياباً
وربع قنطار مسكٍ
ولؤلؤ وعقيقاً
وفضة ونضار
أظهرت صبراً جميلاً
في حب هذا الغزالي
ولحظه قد غزالي
في الحب ضاق احتيالي
محجوبة بالنصال
وقدها ذو اعتدال
لما صنعت لمقالي
اسمي وفاق جمالي
فقلت رقي لحالي
هيهات صب مثالي
وطامعاً في وصالي
يفوق كل نوال
من الحرير الغوالي
برسم ليل وصالي
من النفيس الغالي
من الحلبي الحوالي
على عظيم اشتغالي

فأنعمت لي بوصل	فيا له من وصال
أن لأمني الغير فيها	أقول يا للرجال
لها شعور طوال	والوزن وزن الليالي
وخدها فيه ورد	مثل اللظى في اشتعال
وجفنها فيه سيف	ولحظها كالمنبال
وثغرها فيه خمر	وريقها كالزلال
كأنه عقد در	حوى نظام اللآلي
وجيدها جيد ظبي	مليحة في كمال
وصدرها كرخام	ونهدها كالقلال
وبطنها فيه طي	معطر بالغوالي
وتحت ذلك شيء	له انتهت آمالي
مربوب وسمين	مكلثم يا موالي
كأنه تخت ملك	عليك أعرض حالي
بين العمودين تلقى	مصاطباً بتعالى
لكنه فيه وصف	يدهي عقول الرجال
له شفاه كبار	ونفرة كالبعال
يبدو بحمرة عين	ومشفر كالجمال
إذا أتيت إليه	بهمة في الفعال
تلقاه حر الملاقي	بقوة واحتفال
يرد كل شجاع	محلول عزم القتال
وتارة تلقاه	بلحية في مطال
ينبيك عنه مليح	نو بهجة وجمال
كمثل زين المواصف	مليحة في الكمال
أتيت ليلاً إليها	ونلت شيئاً حلالي
وليلة بت معها	فاقت جميع الليالي
لما أتى الصبح قامت	ووجهها كالهلال
تهز منها قواماً	هز الرماح الغوالي
وودعتني وقالت	متى تعود الليالي
فقلت يا نور عيني	إذا أردت تعالي

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السادسة والتسعين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور لما انتهى من إنشاده القصيدة طربت زين المواصف طرباً عظيماً وحصل لها غاية الإنشراح وقالت: يا مسرور قد دنا الصباح ولم يبق إلا الرواح خوفاً من الإفتضاح فقال: حياً وكرامة ثم نهض على قدميه وأتى بها إلى أن أوصلها إلى منزلها ومضى إلى محله وبات يفكر في محاسنها. فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح هياً لها هدية فاخرة وأتى بها إليها وجلس عندها وأقام على ذلك مدة أياماً وهما في أرغد عيش وأهنأه.

ثم أنه ورد عليها في بعض الأيام كتاب من عند زوجها مضمونه أنه يصل إليها عن قريب فقالت في نفسها لا سلمه الله ولا حياه لأنه إن وصل إلينا تكدر علينا عيشنا، يا ليتني كنت ينست منه، فلما أتى إليها مسرور جلس يتحدث معها على العادة فقالت له: يا مسرور قد ورد علينا كتاباً من عند زوجي مضمونه أنه يصل إلينا من سفره عن قريب فكيف يكون العمل وما لأحد منا عن صاحبه صبر؟ فقال لها: لست أدري ما يكون بل أنت أخبر وأدري بأخلاق زوجك ولا سيما أنت من أعقل النساء صاحبة الحيل التي تحتال بشيء تعجز عن مثله الرجال، فقالت: إنه رجلٌ صعبٌ وله غيرهٌ على أهل بيته ولكن إذا قدم من سفره وسمعت بقدمه فأقدم عليه

وسلم واجلس إلى جانبه وقل له: يا أخي أنا رجلٌ عطارٌ واشتر منه شيئاً من أنواع العطارة وتردد عليه مراراً وأطل معه الكلام، ومهما أمرك به فلا تخالفه فيه فلعل ما احتال به يكون مصادفاً، فقال لها: سمعاً وطاعةً وخرج مسرور من عندها، وقد اشتعلت في قلبه نار المحبة، فلما وصل زوجها إلى الدار فرحت بوصولها ورحبت به وسلمت عليه فنظر في وجهها فرأى فيه لون الاصفرار، وكانت غسلت وجهها بالزعفران وعملت فيه بعض حيل النساء فسأل عن حالها فذكرت له أنها مريضة من وقت ما سافرت هي والجواري وقالت له: إن قلوبنا مشغولةٌ عليك لطول غيابك وصارت تشكو إليه مشقة الفراق وتبكي بدمع مهراق وتقول له: لو كان معك رفيق ما أحمل قلبي هذا الهم كله فبالله عليك يا سيدي ما بقيت تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السابعة والتسعين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن زين الموصف لما قالت لزوجها لا تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لأجل أن أكون مطمئنة القلب والخاطر عليك قال لها: حباً وكرامةً والله أن أمرك رشيدٌ ورأيك سديدٌ، وحياتك على قلبي ما يكون إلا ما تريدينه ثم أنه خرج بشيء من بضاعته إلى دكانه وفتحها وجلس يبيع في السوق فبينما هو في دكانه وإذا بمسرور أقبل وسلم عليه وجلس إلى جانبه وصار يحببه ومكث يتحدث معه ساعةً ثم أخرج كيساً وحله وأخرج منه ذهباً ودفعه إلى زوج زين الموصف وقال له: أعطني بهذه الدنانير شيء من أنواع العطارة لأبيعه في دكاني، فقال له سمعاً وطاعةً ثم أعطاه الذي طلبه وصار مسرور يتردد عليه أياماً فالتفت إليه زوج زين الموصف وقال له: أنا مرادي رجلٌ أشارك في المتجر فقال له مسرور أنا الآخر مرادي رجل أشارك في المتجر لأن أبي كان تاجراً في اليمن وخلف مالا عظيماً وأنا خائفٌ على ذهابه، فالتفت إليه زوج زين الموصف وقال له: هل لك أن تكون رفيقاً لي وصاحباً وصديقاً في السفر والحضر وأعلمك البيع والشراء والأخذ والعطاء؟ فقال له مسرور: حباً وكرامةً ثم أنه أخذه وأتى به إلى منزله وأجلسه في الدهليز ودخل إلى زوجته زين الموصف وقال لها: أني رافقت رفيقاً ودعوته إلى الضيافة فجهزي لنا ضيافةً حسنةً ففرحت زين الموصف وعرفت أنه مسرور حين تم تدبير حياتها. فلما حضر مسرور في دار زوج زين الموصف قال لها: اخرجي إليه ورحبي به وقولي له: أنستنا فغضبت زين الموصف وقالت: تحضرني قدام رجلٍ غريبٍ أجنبي أعوذ بالله ولو قطعنتي قطعاً ما أحضر قدامه فقال لها زوجها: لأي شيء تستحين منه وهو نصراني ونحن يهود ونصير أصحاباً فقالت: أنا ما أشتي أن أحضر قدام الرجل الأجنبي الذي ما نظرته عيني قط ولا أعرفه، فظن زوجها أنها صادقةٌ في قولها ولم يزل يعالجها حتى قامت وتلففت وأخذت الطعام وخرجت إلى مسرور ورحبت به فأطرق رأسه إلى الأرض كأنه مستح، فنظر إلى إطراقه وقال: لا شك إن هذا زاهدٌ فأكلوا كفايتهم، ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين الموصف قبال مسرور وصارت تنتظره وينظرها إلى أن مضى النهار، فانصرف مسرور إلى منزله والتهبت في قلبه النار وأما زوج زين الموصف فإنه صار مفتكر في لطف صاحبه وفي حسنه.

فلما أقبل الليل قدمت إليه زوجته طعاماً ليتعشى كعادته، وكان عنده في الدار طيراً هزاراً إذا جلس يأكل يأتي ذلك الطير ويأكل معه ويرفرف على رأسه وكان ذلك يطير قد ألف مسروراً، فصار يرفرف عليه كلما جلس على الطعام فحين غاب مسرور وحضر صاحبه لم يعرفه ولم يقرب منه فصار مفتكراً في أمر ذلك الطير وفي بعده عنه وأما زين الموصف فإنها لم تنم بل صار قلبها مشغولاً بمسرور واستمر ذلك الأمر إلى ثاني ليلةٍ وثالث ليلةٍ ففهم اليهودي أمرها ونقد عليها وهي مشغولة البال فأنكر عليها، وفي رابع ليلةٍ انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج في منامها بذكر مسرور وهي نائمةٌ في حضنه فأنكر ذلك عليها وكنم أمره، فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكانه وجلس فيها فبينما هو جالسٌ وإذا بمسرور قد أقبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال: مرحباً يا أخي ثم قال: إني مشتاقٌ إليك وجلس يتحدث معه ساعةً زمانيةً.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثامنة والتسعين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور جلس مع اليهودي ساعةً ثم قال له اليهودي: قم يا أخي إلى منزلي حتى نعقد المؤاخاة فقال مسرور: حباً وكرامةً، فلما وصل إلى المنزل تقدم اليهودي وأخبر زوجته بمقدم مسرور وأنه يريد أن يتجر هو وإياه ويؤاخيه وقال لها: هيئي لنا مجلساً حسناً ولا بد أنك تحضرين معنا وتتظرين المؤاخاة فقالت له: بالله عليك لا تحضرني قدام هذا الرجل الغريب فما لي عرض أحضر قدامه فسكتت عنها وأمر الجواري أن يقدمن الطعام والشراب، ثم إنه استدعى بالطير الهزار فنزل في حجر مسرور ولم يعرف صاحبه.

فعند ذلك قال له: يا سيدي ما اسمك؟ قال: مسرور والحال أن زوجته طول الليل تلهج في منامها بهذا الاسم ثم رفع رأسه فنظرها وهي تشير إليه وتغمزه بحاجبها فعرف أن الليلة قد تمت إليه فقال: يا سيدي أمهلني حتى أجيء بأولاد عمي يحضروه المؤاخاة فقال له مسرور: أفعل ما بدا لك فقام زوج زين الموصف وخرج من المجلس.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة التاسعة والتسعين بعد السبعمئة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن زوج زين الموصف قال لمسرور: أمهلني حتى أجيء بأولاد عمي ليحضروا وأعد المؤاخاة بيني وبينك ثم مشى وجاء من وراء المجلس ووقف وكان هناك طاقةٌ تشرف عليهما فجاء إليها وصار ينظرهما منها وهما لا يذكرانه وإذا بزین الموصف قالت لجاريته هبوب: أين راح سيديك؟ قالت: خارج الدار فقالت لها: أغلقي الباب ومكنيه بالحديد ولا تفتحي له حتى يثق الباب بعد أن تخبريني، قالت الجارية: وهو كذلك، كل ذلك وزجها يعاين حالهم ثم أن زين الموصف أخذت الكأس وطيبته بماء الورد وسحق المسك وجاءت إلى مسرور فقام لها وتلقاه وقال لها: والله أن ريقك أحلى من الشراب وصارت تسقيه ويسقيها وبعد ذلك رشته بماء الورد من فوقه إلى قدمه حتى فاحت رائحته في المجلس، كل ذلك وزوجها ينظر إليهما ويتعجب من شدة الحب الذي بينهما، وقد امتلأ قلبه غيظاً مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرةً عظيمةً فأتى إلى الباب فوجده مغلقاً فطرقه طرقاً قوياً من شدة غيظه، فقالت الجارية: يا سيدتي قد جاء سيدي فقالت: افتحي له الباب فلا رده الله بسلامةً فمضت هبوب إلى الباب وفتحته فقال لها: مالك تغلقين الباب؟ قالت: هكذا في غيابك لم يزل مغلقاً ولا يفتح ليلاً ولأنهاراً فقال: أحسنت فإنه يعجبني ذلك ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم أمره وقال له: يا مسرور دعنا من المؤاخاة في هذا اليوم فقال سمعاً وطاعةً أفعل ما تريد فعند ذلك مضى مسرور إلى منزله، وصار زوج زين الموصف مفكراً في أمره لا يدري ما يصنع وصار خاطره في غاية التكدير فقال في نفسه حتى الهزار أنكرني والجواري أغلقت الأبواب في وجهي وولين إلى غيري، ثم أنه صار من شدة قهره يردد إنشاد هذه الأبيات:

لقد عاش مسرور زماناً منعماً	بلذة أيام وعيش تصرماً
تعاندني الأيام فيمن أحبه	وقلبي بنيران يزيد تضرماً
صفا لك دهرٌ بالمليحة قد مضى	ولا زلت في ذاك الجمال مهيماً
لقد عاينت عيني حسن جمالها	فأصبح قلبي في هواها متيماً
لقد طالما أرفقتني مع الرضا	بعذب ثناياها رحيقاً على ظمأ
فما لك يا طير الهزار تركتني	وصرت لغيري في الغرام مسلماً
وقد أبصرت عيني أموراً عجيبةً	تنبه أجفاني إذا كن نوماً
رأيت حبيبي قد أضاع مودتي	وطير هزاري لم يكن لي محوماً
وحق إله العالمين الذي إذا	أراد قضاءً في الخليفة أبرماً
لأفعل ما يستوجب الظالم الذي	بجهل دنا من وصلها وتقدماً

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن مسرور لما أنشد الأبيات المذكورة وسمعت زين الموصف شعره ارتعدت فرائصها واصفر لونها وقالت لجاريته: هل سمعت هذا الشعر؟ فقالت الجارية: ما سمعته في عمري صحيحٌ صار يبيع في كل ما تملكه يده وقال في نفسه: إن لم أغربها عن أوطانها لم يرجع عا هما فيه أبداً، فلما باع جميع أملاكه كتب كتاباً مزوراً ثم قرأه عليها وادعى أن هذا الكتاب جاء من عند أولاد عمه، يتضمن طلب زيارته لهم هو وزوجته فقالت: وكم نقيم عندهم؟ قال: اثني عشر يوماً فأجابته إلى ذلك وقالت له: هل أخذ معي بعض الجواري؟ قال: خذي منهن هبوب وسكوب ودعي هنا خطوب، ثم هياً لهن هودجاً مليحاً، وعزم على الرحيل بهن فأرسلت زين الموصف إلى مسرور أن فات الميعاد الذي بيننا، ولم نأت فأعلم أنه قد عمل علينا حيلةً ودبر لنا مكيدهً وأبعدنا عن بعضنا فلا تنس اليهود والمواثق التي بيننا فإني أخاف من حيله ومكره ثم إن زوجها جهز حاله للسفر وأما زين الموصف فإنها صارت تبكي وتنتحب ولا يقر لها قرار في ليل ولا نهار، فلما رأى زوجها ذلك لم ينكر عليها.

فلما رأت زين الموصف أن زوجها لا بد له من السفر لمت قماشها ومتاعها وأودعت جميع ذلك عند أختها

وأخبرتها بما جرى لها وودعتها وخرجت من عندها وهي تبكي ثم رجعت إلى بيتها فرأت زوجها قد أحضر الجمال وصار يضع عليها الأحمال وهياً لزين الموصف أحسن الجمال فلما رأته زين الموصف أنه لا بد من فراقها لمسرور، تحيرت فاتفق أن زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت عليه هذه الأبيات:

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الواحدة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن زين الموصف لما رأته زوجها أحضر لها الجمال وعلمت بالسفر تحيرت فاتفق أن زوجها خرج لبعض أشغاله فخرجت إلى الباب الأول وكتبت هذه الأبيات:

من الصب للمحبوب عند فراقنا	ألا يا حمام الدار بلغ سلامنا
وندماً على ما كان من طيب وقتنا	وبلغه أني لا أزال حزينة
حزيناً على ما قد مضى من سرورنا	كما أن حبي لا يزال متيماً
وفزنا بوصل ليلنا ونهارنا	قضينا زماناً بالمسرة والهنا
علينا غراب البين ينعي فراقنا	فلم نستفق إلا والصبح صائحاً
فيا ليتنا لم نخل تلك المساكننا	رحلنا وخلينا الديار بلا قعاً

أنت الباب الثاني وكتبت عليه هذه الأبيات:

جمال نصيبي في الدياجي وأخبرا	أيا واصلاً للباب بالله انظرا
ولا ينفعه الدمع الذي بالبكا	بأنّي أبكي أن تذكرت وصله
فضع فوق رأسك من تراب وغبرا	جرى فإن لم تجد صبراً على ما أصابنا
وعش صابراً فالله للأمر قدرا	وسافر إلى شرق البلاد وغربها

ثم أنت إلى الباب الثالث وبكت بكاءً شديداً وكتبت عليه هذه الأبيات:

فمر على الأبواب واقراً سطورها	رويدك يا مسرور أن زرت دارها
فكم طعمت حلو الليالي ومرها	ولا تنس عهد الود أن كنت صادقاً
فقد تركت فيك الهنا وسرورها	فيا لله يا مسرور لا تنس قريها
وأنت متى ما جئت أرخت ستورها	إلا فابك أيام الوصال وطيبها
وخض بحارها واستقص عنا برورها	فسافر قصبيات البلاد لأجلنا
وفرط ظلام الهجر أطفأ نورها	لقد ذهبت عنا ليلي وصالنا
بروض الأمانى إذا قطفنا زهورها	رعي الله أياماً مضت ما أسرها
أبى الله إلا وردها وصدورها	فهلا استمرت مثل ما كنت أرتجي
وأوفى إذا وافت لربي نذورها	فهل ترجع الأيام تجمع شملنا
يخط على لوح الجبين سطورها	وكن عالماً أن الأمور بكف من

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثانية بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن زين الموصف لما كتبت على الباب الثالث الأبيات المذكورة حضرت بين يدي زوجها فحملها على اليهودج الذي صنعه لها فلما صارت على ظهر البعير أنشدت هذه الأبيات:

وقد طالما زدنا هناك تجملاً	عليك سلام الله يا منزلاً خلا
لباليه حتى في الصباية أقتلا	فليت زمني في ذراك تصرمت
شغفت به ولم أدر ما قد تحصلا	جزعت على بعدي وشوقي لموطن
تروق كما راقت لنا فيه أولاً	فيا ليت شعري هل أرى فيه عودةً

فقال لها زوجها: يا زين الموصف لا تحزني على فراق منزلك فإنك ستعودين إليه عما قريب وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ثم ساروا حتى خرجوا إلى ظاهر البلد واستقبلوا الطريق وعلمت بأن الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها كل هذا ومسرور قاعد في منزله متفكراً في أمره وأمر محبوبته فأحس قلبه بالفراق فنهض قائماً على قدميه من وقته وساعته وسار حتى جاء إلى منزلها فرأى الباب مقفولاً ورأى الأبيات التي كتبتها زين الموصف، فقرأ ما على الباب الأول فلما قرأه وقع على الأرض مغشياً عليه ثم أفاق من غشيته وفتح الباب الأول ودخل إلى الباب الثاني فرأى ما كتبه وكذلك الباب الثالث فلما قرأ على جميع هذه الكتابة زاد به الغرام والشوق والهيام، فخرج في أثرها يسرع في خطاه حتى لحق بالركب فرأها في آخرها وزوجها في أوله لأجل حوائجها فلما رآها تعلق بالهودج باكياً حزيناً من ألم الفراق وأنشد هذه الأبيات:

ليت شعري بأي ذنب رمينا	بسهم الصدود طول السنيننا
يا منى القلب جئت للدار يوماً	عندما زدت في هواك شجوننا
فرأيت الديار قفراً بباب	فشكوت النوى وزدت أنينا
وسألت الجدار عن كل قصدي	أين راحوا وصار قلبي رهينا
قال ساروا عن المنازل حتى	صبروا الوجد في الفؤاد كميننا
كتبت لي على الجدار سطوراً	فعل أهل الوفي من العالمينا

فلما سمعت زين الموصف هذا الشعر، علمت أنه مسرور.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثالثة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين الموصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت أنه مسرور فبكت هي وجواربها ثم قالت له: يا مسرور سألتك بالله أن ترجع عنا لنلا يراك ويراني، فلما سمع مسرور ذلك غشي عليه فلما أفاق ودعا بعضهما وأنشد هذه الأبيات:

نادى الرحيل سحيراً في الدجى الهادي	قبل الصباح وهبت نسمة البادي
شدوا المطايا وجدوا في ترحلهم	وأسرع الركب لما زمزم الحادي
وعطروا أرضهم في كل ناحية	وعجلوا سيرهم في ذلك الوادي
تملكوا مهجتي عشفاً وقد رحلوا	وغادروني على آثارهم غادي
يا جيرة مقصدي أن لا أفارقهم	حتى بللت الثرى من دمعي الغادي
يا ويح قلبي بعد البعد ما صنعت	يد الفراق على رغمي بأكبدي

وما زال مسرور ملازماً للركب وهو يبكي وينتحب وهي تستعطفه في أن يرجع قبل الصباح خشية من الإفتضاح فتقدم إلى الهودج وودعها ثاني مرة وغشي عليه ساعةً زمانيةً فلما أفاق وجدهم سائرين فعند ذلك رجع مسرور إلى دار زين الموصف وهو في غاية الإشتياق فرأها خالية من الأضاب موحشة من الأحباب فبكى حتى بل الثياب وغشي عليه وكادت أن تخرج روحه من جسده وقد غشي عليه ساعة من الزمان، فلما أفاق قام وتوجه إلى منزله وصار متحيراً من أجل ذلك باكي العين، ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام، هذا ما كان من أمر مسرور.

وأما ما كان من أمر زين الموصف فإنها عرفت أن الحيلة قد تمت عليها فأن زوجها مازال سائراً بها مدة عشرة أيام ثم أنزلها في بعض المدن فكتبت زين الموصف كتاباً لمسرور وناولته لجاريتها هبوب، وقالت لها: أرسلني هذا الكتاب إلى مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا وكيف غدر بنا اليهودي فأخذت الجارية منها الكتاب وأرسلته إلى مسرور فلما وصل إليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بل التراب وكتب كتاباً وأرسله إلى زين الموصف وختمه بهذين البيتين:

كيف الطريق إلى أبواب سلوان	وكيف يسلموا الذي في حر نيران
ما كان أطيب أوقاتاً لهم سلفت	فليت منها لدينا بعض أحيان

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الرابعة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن مسرور كتب الكتاب وأرسله إلى زين الموصف فلما وصل إليها أخذته وقرأته وأعطته لجاريته هبوب وقالت لها: اكتمي خبره فعلم زوجها أنها يتراسلان فأخذ زين الموصف وجواريتها وسافر بهن مسافة عشرين يوماً. ثم نزل بهن في بعض المدن هذا ما كان من أمر زين الموصف.

وأما ما كان من أمر مسرور فإنه صار لا يهناً له نوم ولا يقر له قرار ولم يكن له اصطبار ولم يزل كذلك إذ هجعت عيناه في بعض الليالي فرأى في منامه أن زين الموصف قد جاءت إليه في الروضة وصارت تعانقه فانتهبه من نومه فلم يرها فطار عقله وذهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد أصبح قلبه في غاية الولوج فأنشد هذه الأبيات:

سلامٌ على من زار في النوم طيفها	فهيج أشواقى وزاد هيامي
وقد قمت من ذاك المنام مولعاً	برؤية طيف زارني بمنامي
فهل تصدق الأحلام فيمن أحبه	وتشفي غليلي في الهوى وسقامي
فطوراً تعاطيني وطوراً تهملني	وطوراً تواسيني بطيب كلامي
ولما انقضى في المنام عتابنا	وصارت عيوني بالدموع دوامي
رضيت رضاباً من لماها كأنه	رحيقٌ أرى رياه مسك ختام
عجبت لما قد كان في النوم بيننا	وقد نلت منها منيتي ومرادي
وقد قمت من ذاك المنام ولم أجد	من الطيف إلا لوعتي وغرامي
فأصبحت كالمجنون حين رأيتهَا	وأمسيت سكراناً بغير مدام

فبكى مسرور بكاءً شديداً لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام وكانت أختها تعرف ما هما عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له: بالله عليك يا مسرور كف عن هذا المنزل لئلا يشعر أحد فيظن أنك تأتي من أجلي لأنك رحلت أختي وتريد أن ترحلني أنا الأخرى وأنت تعرف لولا أنت ما خلت الدار من سكانها فتسل عنها واتركها فقد مضى ما مضى.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الخامسة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أخت زين الموصف قالت لها: قلت سأمضي فلما سمع مسرور ذلك من أختها بكى بكاءً شديداً وقال لها: يا نسيم لو قدرت أن أطير شوقاً إليها فكيف أتسلى عنها؟ فقالت: ما لك حيلة إلا الصبر فقال لها: سألتك بالله أن تكتبي لها كل ما عندك وتردي لنا جواباً ليطيب خاطري وتنطفئ النار التي في ضمائري فقالت حباً وكرامةً ثم أعطني دواةً وقرطاساً وصار مسرور يصف لها شدة شوقه وما يكابده من ألم الفراق ويقول: إن هذا الشوق عن لسان الهائم الحزين المفارق المسكين الذي لا يقر له قرار في ليل ولا في نهار بل يبكي بدموع غزار قد قرحت الدموع أجفانه، وأضرمت في كبده أحزانه وطال تأسفه وكثر تلهفه مثل طير نقد ألفه وعجل تلهفه فيا أسفي من مفارقتك ويا لهفي على معاشرتك لقد ضر جسمي النحول ودمني صار في خمول وضائق علي الجبال والسهول فأمسيت من فرط وجدي أقول:

وجدي على تلك المنازل باقي	زادت إلى سكانها أشواقى
وبعثت نحوكم حديث صبابتي	وبكأس حبكم سقاني الساقى
وعلى رحيلكم وبعد دياركم	جرت الجفون بدمعة المهرق
يا حادي الأظعان عرج بالحمى	فالقلب مني زائد الإحراق
واقراً سلامي للحبيب وقل له	ما أن له غير اللمي من راقى
أودى الزمان به فشنت شمله	ورمى حشاشته بسهم فراق
بلغ لهم وجدي وشدة لوعتي	من بعد فرقتهم وما أنا لاقى
قسماً بحبكم بميناً أنني	أوفي لكم بالعهد والميثاق
ما ملت قطً ولا سلوت هواكم	كيف السلو لعاشق مشتاق
فغلبكم مني السلام تحية	ممزوجةً بالمسك في الأوراق

فتعجبت أختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة أشعاره فرقت له وختمت الكتاب بالمسك الأذفر وبخرته بالند والعنبر وأوصلته إلى بعض التجار وقالت له: لا تسلم هذا إلا لأختي أو جاريتها هبوب فقال حباً وكرامة فلما وصل الكتاب إلى زين الموصف عرفت أنه من إملاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه فقبلته ووضعته على عينيها وأجرت الدموع من جفنيها ولم تزل تبكي حتى غشي عليها فلما أفاقت دعت بدواةٍ وقرطاس وكتبت له الجواب ووصفت شوقها وگرامها ووجدتها وما هي فيه من الحنين إلى الأحباب وشكت حالها إليه وما نالها من الوجد عليه.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السادسة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين الموصف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور وقالت له: إن هذا كتاب إلى سيدي ومالك رقي ومولاي وصاحب سري ونجواني أما بعد فقد أفلقتي السهر وزاد بي الفكر وما لي على بعدك مصطبر يا من حسنه فوق الشمس والقمر فالشوق أفلقتني والوجد أهلكني وكيف لا أكون كذلك وأنا مع الهالكين فيا بهجة الدنيا وزينة الأحياء هل لمن انقطعت أنفاسه أن يطيب كأسه لا هو مع الأحياء ولا مع الأموات، ثم أنشدت هذه الأبيات:

كتابك يا مسرور قد هيح البلوى	فو الله مالي عنك صبر ولا سلوى
ولما قرأت الخط حنت جوارحي	ومن ماء دمعي دائماً لم أزل أروى
ولو كنت طيراً طرت في جناح ليلةٍ	فلم أدر طعم المن بعدك والسلوى
حرامٌ علي العيش من بعد بعدكم	فإني على حر التفرق لا أقوى

ثم قربت الكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وأرسلته مع بعض التجار وقالت له: لا تسلمه إلا لأختي نسيم فلما وصل إلى أختها نسيم أوصلته إلى مسرور فقبله ووضعته على يمينه وبكى حتى غشي عليه. هذا ما كان من أمرهما، وأما ما كان من أمر زوج زين الموصف فإنه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها وبجارتيتها من محل إلى محل فقالت له زين الموصف: سبحان الله إلى أين تسير بنا وتبعدنا عن الأوطان؟ قال: إلى أن أقطع بكم سنة حتى لا يصل إليكن مراسلات من مسرور انظري كيف أخذت جميع مالي وأعطيته لمسرور فكل شيء ضاع إلى أخذه منكن وانظري هل يتمكن مسرور ويقدر على خلاصكن من يدي ثم أنه مضى إلى الحداد وصنع لهن ثلاثة قيود من الحديد وأتى بها إليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير وألبسهن ثياباً من الشعر وصار يبخرهن بالكبريت ثم جاء إليهن بالحداد وقال له: ضع هذه القيود في أرجل أولئك الجواري فأول ما قدم زين الموصف فلما رآها الحداد غاب عن صوابه وعض على أنامله وطار عقله من رأسه وزاد غرامه وقال لليهودي: ما ذنب أولئك الجواري؟ فقال: إنهن جواري وسرقن مالي وهربن مني فقال له الحداد: خيب الله ظنك والله لو كانت هذه الجارية عند قاضي القضاة وأذنت كل يوم ألف ذنب لا يواخذها أيضاً لا يظهر عليها علامة السرقة ولا يقدر على وضع الحديد في رجليها ثم سأله أن لا يقيدها وصار يستشفع عنده في عدم تقييدها فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودي: سألتك بالله إلا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السابعة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن زين الموصف قالت لليهودي سألتك بالله ألا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب فقال لها: وكيف خرجت قدام مسرور؟ فلم ترد جواباً ثم قبل شفاعة الحداد ووضع في رجليها قيداً صغيراً وقيد الجواري بالقيود الثقيلة وكان لزين الموصف جسمٌ ناعمٌ لا يتحمل الخشونة فلم تزل لابسة ثياب الشعر هي وجواربها ليلاً ونهاراً إلى أن انتحلت أجسامهن وتغير ألوانهن وأما الحداد فإنه وقع في قلبه لزين الموصف عشقٌ عظيمٌ فسار إلى منزله وهو بأشد الحسرات وجعل ينشد هذه الأبيات:

شلت يمينك يا قين بما وثقت	تلك القيود على الأقدام والعصب
قيدت أقدام مولاةٍ منعمةٍ	أنيسةٍ خلقت من أعجب العجب
لو كنت تنصف ما كانت خلاخلها	من الحديد وقد كانت من الذهب
ولو رأى حسنها قاضي القضاة رثى	لها وأجلسها تياً أعلى الرتب

وكان قاضي القضاة ماراً على دار الحداد وهو يترنم بإنشاد هذه الأبيات فأرسل إليه فلما حضر قال: يا حداد من هذه التي تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها؟ فنهض الحداد قائماً على قدميه بين يدي القاضي وقبل يده وقال:

أدام الله أيام مولانا القاضي وفسح في عمره. إنها جارية صفتها كذا وكذا وصار يصف له الجارية وما هي فيه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والظرف والكمال وأنها بوجه جميلٍ وخصرٍ نحيلٍ وردفٍ ثقيلٍ ثم أخبره بما هي فيه من الذل والحبس والقيود وقلة الزاد فقال القاضي: يا حداد دلها علينا وأوصلها إلينا حتى نأخذ لها حقها لأن هذه الجارية صارت معلقةً برقبتيك وأن كنت لا تدلها علينا فإن الله يجازيك يوم القيامة فقال الحداد: سمعاً وطاعةً ثم توجه من وقته وساعته إلى ديار زين المواسف فوجد الباب مغلقاً وسمع كلاماً رخيماً من كبدٍ حزين لأن زين المواسف كانت في ذلك الوقت تنشد هذه الأبيات:

قد كنت في وطني والشمل مجتمَعٌ	والحب يملأ لي بالصفو أقداحا
دارت علينا بما تهواه من طربٍ	فليس تشكو أمساه وأصباحا
لقد قضينا زماناً كان ينعشنا	كأساً وعوداً وقانوناً وأفراحا
ففرق الدهر والتصريف ألفتنا	والحب ولى ووقت الصفو قد راحا
قلبت عنا غراب البين منزجر	وليت فجر وصالي في الهوى لاحا

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام بكى بدمع كدمع الغمام ثم طرق الباب عليهن فقلن: من بالباب؟ فقال لهن: أنا الحداد ثم أخبرهن بما قاله القاضي وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوى بين يديه حتى يخلص لهن حقهن. وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثامنة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الحداد لما أخبر زين المواسف كلام القاضي وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوى بين يديه ويقتض لهن من غريمهن حتى يخلص لهن حقهن قالت للحداد: كيف نروح إليه والباب مغلقٌ علينا والقيود في أرجلنا والمفاتيح مع اليهودي؟ قال لهن الحداد: أنا أعمل للأقفال مفاتيح وأفتح بها الباب والقيود قالت: فمن يعرفنا بيت القاضي؟ فقال الحداد: أنا أصفه لكن فقالت زين المواسف: وكيف نمضي عند القاضي ونحن لا بساتٍ ثياب الشعر المبخرة بالكبريت؟ فقال الحداد: إن القاضي لا يعيبنك وأنتن في هذه الحالة ثم نهض الحداد من وقته وساعته وصنع مفاتيح أقفالٍ ثم فتح الباب وفتح القيود وحلها من أرجلهن وأخرجهن ودلهن على بيت القاضي. ثم أن جاريته هبوب نزعت ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها إلى الحمام وغسلتها وألبستها ثياب الحرير فرجع لونها إليها ومن تمام السعادة أن زوجها كان في وليمةٍ عند بعض التجار فتزينت زين المواسف بأحسن زينةٍ ومضت إلى بيت القاضي فلما نظر لها القاضي وقف قائماً على قدميه فسلمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة ألفاظ ورشقة في ضمن ذلك بسهام الإلحاح وقالت له: أدام الله مولانا القاضي ثم أخبرته بأمر الحداد وما فعل معها من فعل الأجواد وبما صنع بها زوجها من العذاب الذي يدهش الألباب وأخبرته أنه قد زاد بهن الهلاك ولم يجدن لهن من فكك، فقال القاضي: يا جارية ما اسمك؟ قالت: اسمي زين المواسف وجاريتي هذه اسمها هبوب فقال لها القاضي: إن اسمك وافق مسماه وطابق لفظه معناه. فتبسمت ولفت وجهها فقال لها القاضي: زين المواسف ألك بعل أم لا؟ قالت: ما لي بعل قال: وما دينك؟ قالت: ديني الإسلام وملة خير الأنام فقال لها: أقسمي بالشرعية ذات الآيات والعبير أنك على ملة خير البشر، فأقسمت له وتشهدت فقال لها القاضي: كيف انقضى شباك مع هذا اليهودي؟ فقالت له: أعلم أيها القاضي أدام الله أيامك بالتراضي وبلغك أمالك وختم بالصالحات أعمالك أن أبي خلف لي بعد وفاته خمسة عشر ألف دينار وجعلها بين يدي هذا اليهودي يتجر فيها والكسب بيننا وبينه ورأس المال ثابتٌ بالبينة الشرعية فعندما مات أبي طمع اليهودي في وطلبني من أمي ليتزوج بي فقالت له أمي: كيف أخرجها من دينها وجعلها يهودية فو الله لأعرفن الدولة بك فخاف ذلك اليهودي من كلامها وأخذ المال وقرب إلى مدينة عدن وعند ما سمعنا به أنه في مدينة عدن جننا في طلبه فلما اجتمعنا عليه في تلك المدينة ذكر لنا أنه يتاجر في البضائع ويشترى بضاعة بعد بضاعة فصدقناه ولم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعذبنا أشد العذاب ونحن غرباء وما لنا معين إلا الله تعالى ومولانا القاضي، فلما سمع القاضي هذه الحكاية قال لجاريتها هبوب: هل هذه سيدتك وأنتن غرباء وليس لها بعل؟ قالت نعم قال: زوجني به وأنا يلزمني العتق والصيام والحج والصدقة إن لم أخلص لكن حقكن من هذا الكلب بعد أن أجازيه بما فعلت هبوب: لك السمع والطاعة فقال القاضي: روعي طيبي قلبك وقلب سيدتك وفي غد إن شاء الله تعالى أرسل إلى هذا الكافر وأخلص لكن حقكن منه وتنتظرين العجب في عذابه فدعت الجارية وانصرفت من عنده وخلته في كربٍ وهيامٍ وشوقٍ وغرامٍ، وبعد أن انصرفت من عنده هي وسيدتها سألتا عن دار القاضي الثاني فدلوهما عليه فلما حضرتا لديه أعلمتاه بذلك وكذلك الثالث والرابع حتى رفعت أمرها إلى القضاة الأربعة وكل واحد يسألها أن تتزوج به فتقول له: نعم ولم يعرف بعضهم خبر بعض فصار كل واحدٍ يطمع فيها ولم يعلم اليهودي بشيءٍ من ذلك لأنه كان في دار الوليمة، فلما أصبح الصباح نهضت جاريتها وأفرغت عليها حلةً من أفر الملبس ودخلت بها على القضاة الأربعة في مجلس الحكم، فلما رأت القضاة حاضرين أسفرت عن وجهها ورفعت قناعها وسلمت عليهم فردوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم وكان بعضهم يكتب فوق القلم من يده وبعضهم كان يتحدث فتلجلج لسانه وبعضهم كان يحسب فغلط في

حسابه فعند ذلك قالوا لها: يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك إلا طيباً فلا بد من أن نخلص لك حقك ونبلغك مرادك فدعت له ثم ودعتهم وانصرفت.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة التاسعة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن القضاة قالوا لزين الموصف: يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك إلا طيباً بقضاء غرضك وبلوغ مرادك، فذع لهم ثم ودعتهم وانصرفت، هذا كله واليهودي مقبلاً عند أصحابه في الوليمة وليس له علمٌ بذلك، وصارت زين الموصف تدعو ولاة الأحكام وأرباب الأقاليم لينصروها على هذا الكافر الموناب ويخلصوها من أليم العذاب. ثم أنها كتبت كتاباً يتضمن جميع ما عمله معها اليهودي من الأول إلى الآخر وسطرت فيه الأشعار ثم طوت الكتاب وناولته لجاريته هبوب وقالت لها: احفظي هذا الكتاب في جيبك حتى نرسله إلى مسرور، فبينما هي كذلك وإذا باليهودي قد دخل عليهما فرأهما فرحانتين فقال: ما لي أراكما فرحانتين هل أتاكم كتاب من عند صديقكما مسرور؟ فقالت له زين الموصف: نحن ما لنا عليك إلا سبحانه وتعالى فإنه هو الذي يخلصنا من جورك وإن لم تردنا إلى بلادنا وأوطاننا فنحن في غد نترافع وإياك إلى حاكم هذه المدينة وقاضيها، فقال اليهودي: ومن خلص القيود من أرجلكما ولكن لا بد أن أضع كل واحدة منكن قيداً قدر عشرة أرطال وأطوف بكن حول المدينة، فقالت له هبوب، جميع ما نويته لنا تقع فيه أن شاء الله كما أبعدتنا عن أوطاننا، وفي غد نقف وإياك قدام حاكم المدينة، واستمروا على ذلك حتى الصباح.

ثم نهض اليهودي وأتى إلى الحداد ليصنع قيوداً لهم فعند ذلك قامت زين الموصف هي وجواربها وأتت إلى دار الحكم ودخلتها فرأت القضاة فسلمت عليهم فرد عليها كل القضاة السلام، ثم قال قاضي القضاة لمن حوله: إن الجارية زهراوية وكل من رآها أحبها وخضع لحسنها وجمالها، ثم أن القاضي أرسل معها من الرسل أربعة وكانوا أشرفاً وقال: لهم أحضروا غريمها في أسوأ حال. هذا ما كان من أمرها.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة العاشرة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن القاضي أرسل مع زين الموصف أربعة وقال لهم أحضروا غريمها في أسوأ حال. هذا ما كان من أمرها. وأما ما كان من أمر اليهودي فأنهن لما صنع لهن القيود عاد إلى المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار في أمره، فبينما هو كذلك وإذا بالرسل قد تعلقوا به وضربوه ضرباً شديداً وجروه سحياً على وجهه حتى أتوا به إلى القاضي فلما رآه القاضي صرخ في وجهه وقال: يا عدو الله هل وصل أمرك من أنك فعلت ما فعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهم وسرقت ما لهن وتريد أن تجعلهن يهوداً فكيف تريد تكفير المسلمين؟ فقال اليهودي: يا مولاي إن هذه زوجتي، فلما سمع القضاة منه هذا الكلام صاحوا كلهم وقالوا: ارموا هذا الكلب على الأرض وأنزلوا على وجهه بنعالكم واضربوه ضرباً وجيعاً فإن ذنبه لا يغتفر، فزعا عنه ثيابه الحريرية والبسوه ثياباً من الشعر وألقوه على الأرض ونبثوا لحيته وضربوه ضرباً وجيعاً على وجهه بالنعال ثم أركبوه على حماره وجعلوا وجهه على كفله وأمسكوه ذيل الحمار في يده وطافوا به حول البلد حتى جرسوه في سائر البلد، ثم عادوا به إلى القاضي وهو في ذل عظيم فحكم عليه القضاة الأربعة بأن تقطع يده ورجلاه وبعد ذلك بصلب.

فاندش المعلنون من هذا القول وغاب عقله وقال: يا سادتي القضاة ما تريدون مني؟ فقالوا له: قل أن هذه الجارية ما هي زوجتي وأن المال مالها وأنا تعدت عليها وشتتها عن أوطانها، فأقر بذلك وكتبوا بإقراره حجة وأخذوا منه المال ودفعوه إلى زين الموصف وأعطوها الحجة وخرجت فصار كل من رأى حسننها وجمالها متحيراً في عقله وظن كل واحد من القضاة أنه يؤول أمرها إليه.

فلما وصلت إلى منزلها جهزت أمرها من جميع ما تحتاج إليه وصبرت إلى أن دخل الليل فأخذت ما خف حملته وغلا ثمنه وسارت هي وجواربها في ظلام الليل ولم تزل سائرة مسافة ثلاثة أيام بلياليها. هذا ما كان من أمر زين الموصف، وأما ما كان من أمر القضاة فأنهم بعد ذهابها أمروا بحبس اليهودي زوجها.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الحادية عشرة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن القضاة أمروا بحبس اليهودي زوج زين الموصف، فلما أصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون أن تحضر عندهم زين الموصف فلم

تحضر عند أحد منهم، ثم أن القاضي الذي ذهبت إليه أولاً قال: أنا أريد اليوم أن أتفرج على خارج المدينة لأني لي حاجة هناك ثم ركب بغلته وأخذ غلمانته وصار يطوف أزقة المدينة طويلاً وعرضاً ويفتش على زين الموصف فلم يقع لها على خبر، فبينما هو كذلك إذ وجد باقي القضاة دائرين وكل واحدٍ منهم يظن أنه ليس بينها وبين غيره معياد فسألهم ما سبب ركوبهم ودورانهم في أزقة المدينة فأخبروه بشأنهم فرأى حالهم كحالهم وسؤالهم كسؤاله فصار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر فانصرف كل واحدٍ منهم إلى منزله مريضاً ورددوا على فراش الضنى ثم أن قاضي القضاة تذكر الحداد فأرسل إليه فلما حضر بين يديه قال له: يا حداد هل تعرف شيئاً من خبر التي دلتها علينا فو الله إن لم تطلعني عليها ضربتك بالسياط، فلما سمع الحداد كلام القاضي أنشد هذه الأبيات:

أن التي ملكتني في الهوى ملكت
مجامع الحسن حتى لم تدع حسناً
رنت غزلاً وفاحت عنبراً وبدت
شمساً وماجت غديراً وأنثت غصناً

ثم أن الحداد قال: والله يا مولاي من حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عيني أبداً وقد ملكت لبي وعقلي وصار فيها حديثي وشغلي وقد مضيت إلى منزلها فلم أجدها ولم أر أحداً يخبرني عن شأنها فكأنها غطست في قرار الماء أو عرج بها إلى السماء. فلما سمع القاضي كلامه شهق شهقة كادت روحه أن تخرج منه ثم قال: والله ما كان لنا حاجة برؤيتها فانصرف الحداد ووقع القاضي على فراشه وصار من أجلها في ضنى وكذا الشهود وباقي القضاة الأربعة وصارت الحكماء تتردد عليهم وما بهم من مرض يحتاج إلى طبيب ثم أن وجهاء الناس دخلوا على القاضي الأول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله ففتنه وباح بما في ضميره وبكى بكاءً شديداً ثم أنه شهق شهقةً ففارق روحه جسده فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وكتبوا على قبره هذه الأبيات:

كملت صفات العاشقين لمن غدا
في القبر مقتول الحبيب وصده
قد كان هذا للبرية قاضياً
ويراعه سجن الحسام بغمده
فقضى عليه الحب لم نر قبله
مولى تذلل في الأنام لعبده

ثم أنهم ترحموا عليه وانصرفوا إلى القاضي الثاني ومعهم الطبيب فلم يجدوا به ضرراً ولا ما يحتاج إلى طبيب فسألوه عن حاله وشغل باله فعرفهم بقضيته فلاموه وعنفوه على تلك الحالة ثم أنه شهق شهقةً ففارق روحه جسده فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه ثم توجهوا إلى القاضي الثالث فوجدوا الجميع مرضى بحبها ووجدوا الشهود أيضاً مرضى بحبها فإن كل من رآها مات بحبها وأن لم يمض يكابد لوعة الغرام.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثانية عشرة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن أهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها فإن كل من رآها مات بعشقها وأن لم يعيش يكابد لوعة الغرام من شدة حبها رحمهم الله أجمعين. هذا ما كان من أمرهم.

وأما ما كان من أمر زين الموصف فإنها وجدت في السير مدة أيام حتى قطعت مسافةً بعيدةً فاتفق أنها خرجت هي وجواربها فمرت على دير في الطريق وفيه راهب كبير اسمه دانس وكان عنده أربعون بطريقاً فلما رأى جمال زين الموصف نزل إليها وعزم عليها وقال لها استريحوا عندنا عشرة أيام ثم سافروا فنزلت عنده هي وجواربها في ذلك الدير فلما نزلت ورأى حسناتها وجمالها أفسدت عقيدته وأفتنت بها وصار يرسل إليها مع البطارقة واحد بعد واحد لأجل أن يولفها فصار كل من أرسله إليها يقع في حبها ويرادها عن نفسها له وهي تعنذر وتمتنع ولم يزل دانس يرسل إليها الأربعين بطريقاً وكل واحدٍ حين يراها يتعلق بعشقها ويكثر من ملاحظتها ويرادها عن نفسها ولا يذكر لها اسم دانس فتمتنع من ذلك وتجاوبهم بأغظ جواب فلما فرغ صبر دانس وأشدت غرامه، قال في نفسه: إن صاحب المثل يقول: ما حك جسمي غير ظفري ولا سعى في مرامي مثل أقدامي.

ثم نهض قائماً على قدميه وصنع طعاماً مفتخراً وحمله ووضع بين يديها وكان ذلك اليوم التاسع من العشرة أيام التي أتعق معها على إقامتها عنده لأجل الاستراحة فلما وضع بين يديها قال: تقضلي باسم الله خير الزاد ما حصل فمدت يديها وقالت: بسم الله الرحمن الرحيم وأكلت هي وجواربها فلما فرغت من الأكل قال لها: يا سيدتي أريد أن أنشدك أبياتاً من الشعر، فقالت له: قل، فأنشد هذه الأبيات:

ملك قلبي بالحافظ ووجنات
وفي هواك غد نثري وأبياتي

أتركني محباً مغرماً دنفاً
لا تتركيني صريعاً ولهاً فلقد
يا غادة جوزت في الحب سفك دمي
أعالج العشق حتى في المنامات
تركت أشغال ديري بعد لذاتي
رفقاً بحالي وعطفاً في شكاياتي

فلما سمع زين الموصف شعره أجابته عن شعره بهذين البيتين:

يا طالب الوصل لا يغرك بي أمل
لا تطمع النفس فيما لست تملكه
أكف سؤالك عني أيها الرجل
أن المطامع مقرون بها الأجل

فلما سمع شعرها رجع إلى صومعته وهو مفكر في نفسه ولم يدر كيف يصنع في أمرها ثم بات تلك الليلة في أسوأ حال فلما جن الليل قامت زين الموصف وقالت لجواربها: قوموا بنا فأننا لا نقدر على أربعين رجلاً رهباناً وكل واحدٍ يراودني عن نفسي فقال لها الجواري: حباً وكرامةً ثم أنهن ركبن دوابهن وخرجن من باب الدير ليلاً.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثالثة عشرة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن زين الموصف لما خرجت هي وجواربها من الدير ليلاً لم يزلن سائرات وإذا هن بقافلةٍ فاختلطن بها وإذا بالقافلة من مدينة عدن التي كانت فيها زين الموصف فسمعت أهل القافلة يتحدثون بخبر زين الموصف ويذكرون القضاة والشهود ماتوا في حبها وولى أهل المدينة قضاةً وشهوداً غيرهم وأطلقوا زوج زين الموصف من الحبس.

فلما سمعت زين الموصف هذا الكلام التفتت إلى جواربها وقالت لجاربتها هبوب: ألا تسمعين هذا الكلام؟ فقالت لها جاربتها: إذا كان الرهبان الذين عقيدتهم أن الترهب عن النساء عبادة قد افتتنوا في هোক فكيف حال القضاة الذين عقيدتهم أنه لا رهبانية في الإسلام ولكن أمض بنا إلى أوطاننا ما دام أمرنا مكتوماً ثم أنهن سررن وبالغن في السير وهن قاصدات مدينة عدن إلى أن وصلت زين الموصف إلى منزلها وفتحت الأبواب ودخلت الدار ثم أرسلت إلى أختها نسيم فلما سمعت أختها بذلك فرحت فرحاً شديداً وأحضرت لها الفراش ونفيس القماش ثم أنها فرشت لها وألبستها وأرخت الستور على الأبواب وأطلقت العود واليد والعنبر والمسك الأذفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصار أعظم ما يكون ثم أن زين الموصف لبست أفخر قماشها وتزينت أحسن زينة كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدمها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه مزيد.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الرابعة عشرة بعد الثمانمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن زين الموصف لما دخلت دارها أتت لها أختها بالفراش وفرشت لها وألبستها أفخر الثياب كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدمها بل كل في هم شديد وحزن ما عليه مزيد، ثم جلست زين الموصف تتحدث مع جواربها الذين تخلفن عن السفر معها وذكرت لهن جميع ما وقع لها من الأول إلى الآخر، ثم أنها التفتت إلى هبوب وأعطتها دراهم وأمرتها أن تذهب وتأتي لها بشيء تأكله هي وجواربها فذهبت وأتت بالذي طلبته من الأكل والشرب فلما انتهى أكلهن وشربهن أمرت هبوب أن تمضي إلى مسرور وتتنظر أين هو وتشاهد ما هو فيه من الأحوال وكان مسرور لا يقر له قرار ولا يمكنه اضطراب فلما زاد عليه الوجد والغرام قام ومشى إلى زقاق زين الموصف فشم منه الروائح الزكية فهاج ليه وفاق صدره وقلبه وتضرر غرامه وزاد هيامه وإذا بهبوب متوجهة إلى قضاء حاجة فراها وهي مقبلة من صدر الزقاق، فلما رآها فرح فرحاً شديداً فلما رأته هبوب أتت إليه وسملت عليه وبشرته بقدم سيدتها زين الموصف وقالت لها: أنها أرسلتني في طلبك إليها ففرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد ثم أخذته ورجعت به إليها فلما رأته زين الموصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وعانقته وعانقها ولم يزل يقبلان بعضهما ويتعانقان حتى غشي عليهما زمناً طويلاً من شدة المحبة والفراق.

فلما أفاقا من غشيتهما أمرت جاربتها هبوب بإحضار قلة مملوءة من شراب السكر وقلة مملوءة من شراب الليمون فأحضرت لها الجارية جميع ما طلبته، ثم أكلوا وشربوا وما زالوا كذلك إلى أن أقبل الليل فصاروا يذكرون الذي جرى لهم من أوله إلى آخره ثم أنها أخبرته بإسلامها ففرح وأسلم هو أيضاً وكذلك جواربها وتابوا إلى الله تعالى فلما أصبح الصباح أمرت بإحضار القاضي والشهود وأخبرتهم أنها عازبة وقد فنت العدة ومرادها الزواج بمسرور فكتبوا كتابها وصاروا في ألد عيش، هذا ما كان من أمر زين الموصف.

وأما ما كان من أمر زوجها اليهودي، فإنه حين أطلقه أهل المدينة من السجن سافر منها متوجهاً إلى بلاده، ولم يزل مسافراً حتى صار بينه وبين المدينة التي فيها زين الموصف ثلاثة أيام فأخبرت بذلك زين الموصف فدعت بجارتها هبوب وقالت لها: امض إلى مقبرة اليهودي واحفري قبراً وضعي عليه الرياحين ورشي عليه الماء وأن جاء اليهودي وسألك عني فقول له أن سيدتي ماتت من قهرها عليك ومضى لموتها مدة عشرين يوماً فأن قال أريني قبرها فحذبه إلى القبر وتحلي دفنه فيه بالحياة، فقالت سمعاً وطاعة ثم أنهم رفعوا الفراش وأدخلوه في مخدع ومضت إلى بيت مسرور فقعدوا في أكل وشرب ولم يزا كذلك حتى مضت الثلاثة أيام، هذا ما كان من أمرهم.

وأما ما كان من أمر زوجها فإنه لما أقبل من السفر دق الباب فقالت هبوب: من بالباب؟ فقال: سيدك ففتحت له الباب فرأى دموعها تجري على خديها فقال لها: ما يبكيك؟ وأين سيدتك؟ فقالت له: إن سيدتي ماتت بسبب قهرها عليك، فلما سمع منها ذلك الكلام تحير في أمره وبكى بكاءً شديداً حتى خر مغشياً عليه فلما غشي عليه أسرع هبوب بجره ووضعته في القبر وهو بالحياة ولكنه مدهوش ثم سدت عليه ورجعت إلى سيدتها وأعلمتها بهذا الخبر ففرحت بذلك فرحاً شديداً وأنشدت هذين البيتين:

الدهر أقسم لا يزال مكدر
مات العزول ومن هويت مواصلي
حنثت يمينك يا زمان فكفر
فانهض إلى داعي السرور وشمر

ثم أنها أقاموا مع بعضهم على الأكل والشرب واللهو واللعب إلى أن أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.